

الجلواح: اتهامي بالغزل إيجابياً.. وشعراء الشرقية تأثروا بالعراقيين

ما يلفت الانتباه في شخصية الشاعر محمد الجلواح، أنَّهُ على قدر كبير من الأدب الجمِّ، ونهضت ذائقته على موسيقى الشعر، منذ طفولته الزاهرة، فشبَّ الشعر بين ضلوعه، وبأوزانه صفّر الغيوم، ورقص السنابل، وأرجح ظلال النخيل على أنغام أهازيج روحه المُشبعة بالحُبِّ والصدق، والوفاء. تأخر الحوار معه قصوراً منا، وبطرقنا نافذة عزلته أشرع في وجوهنا كل أبواب الترحاب لنخرج بهذه الأجوبة النابضة بالعشق المضيء..

• أنت متهم بأنك شاعر غزل، بماذا تعلق؟

•• هذا اتهام إيجابي، لا أنكره، ولا أتبرأ منه.

أنا.. من سلالة أسلافي الشعراء العرب قديماً وحديثاً، الذين امتطوا سهوة الغزل وسافروا إليه، وعُرفوا به..

وما أنا إلا من غزية إن غوت

غويت، وإن ترشد غزية أرشد

كما قال عمنا دريد ابن الصمة، لكن لدي -إلى جانب قصائد الغزل- قصائد أخرى جمَّة؛ منها الوطنية والإنسانية والاجتماعية والدينية، وغيرها، وربما فاقت في مجموعها قصائد الغزل، وأتساءل: لماذا تحضُّرُ قصائد الغزل في وجدان المتلقي دون سواها؟ لأنني -ببساطة- أكرر قراءتها وحضورها، وألبي من يطلبها.

• كيف تردُّ على من يصفك بـ«قليل الحظ»؟

•• في الحقيقة لست ذلك يا عزيزي، فأنا أرى نفسي أفضل حظاً نسبياً من غيري في كثير من الوجوه -والحمد-، وعلى مدى مشواري الممتد إلى نحو 50 عاماً في خدمة الثقافة والمثقفين والأدب، ولا أعرف القصد من «قلة الحظ»، هل هي في المركز، أم في الإبداع، أم في الإعلام، أم في الحضور، أم في التأليف، أم في غير ذلك؟، لكن أظن أنني أفضل من كثير من آخرين من جيلي في جوانب معينة، وقد أكون قليل الحظ -كما تفضلتم- في جوانب أخرى.

• هل أنت شاعر منبري؟

•• نعم وبضرس قاطع.. وشاعر للقراءة غير المنبرية أيضاً، وقد لا أرى غصاصة أن أكون شاعراً منبرياً؛ باعتبار أن المنبر يجعلك متواصلاً بحميمية وبشكل مباشر مع جمهورك، كما أن القصيدة المنبرية ما زالت حاضرة ببريقها وفاعليتها ووجهها، رغم طغيان وسائل التواصل الاجتماعي، والفضاء الأزرق، ومع الإشارة إلى أن القصيدة المنبرية -في رأيي- لا تموت حينما تُتلى على المنصة، ودونك كل الشعراء العرب -قديمًا وحديثًا- الذين تضجّ دواوينهم بالقصائد المنبرية والمثبته في دواوينهم، وما زالت خالدة.

• لماذا كنت حريصاً على حضور المناسبات الثقافية ثم تراجعته وزهدت؟

•• هذه حكاية قد يطول الحديث فيها، لكن سأختصر بعضها في نقاط:

أولاً: انحسار الدعوات التي كانت تأتيني لحضور المناسبات الثقافية أو المشاركة فيها.

ثانياً: انشغالي في فترة عملي بنادي الأحساء الأدبي مسؤولاً إدارياً وعلاقات عامة، لمدة تزيد على 12 عاماً، وما يتطلب ذلك من متابعة وجهد ووقت.

ثالثاً: اعتذاري عن إجابة بعض الدعوات؛ التي تصلني لحضور فعاليات أو مهرجانات سبق لي أن حضرتها، وأرى ألا جديد فيها بالنسبة لي، ولا جدوى من حضورها، فأُحيل الدعوة لشاعر أو أديب أو قاص أو مثقف لم يسبق له أن حضرها، وقد فعلت ذلك مراراً كثيرة.

رابعاً: حتى لا أساهم في تكريس مشكلة تكرار أسماء المدعوين من المشاركين والضيوف، لتلك المناسبات

الثقافية، التي ما زال الوسط الثقافي يعاني منها، (وإن كان المأخذ في ذلك يكون على الجهة الداعية، لا على المدعو)، وغيرها من الأمور الأخرى.

• متى كانت بواكير استشعار الشاعر الشعيرية؟

•• إن كنت تقصد في هذا السؤال بداياتي الشعرية.. فهي المرحلة المتوسطة في التسعينيات الهجرية، والسبعينيات الميلادية المنصرمة من القرن الماضي، حينما بدأتُ (الخربشة) على كراسات الدراسة بمقطوعة أو نصف بيت، أو عبارة كنت أظنها شعراً، خصوصاً أنني نشأت في أسرة متعلمة، فقد كان والدي مُعَلِّماً للقرآن الكريم، والمبادئ الإسلامية، والقراءة والكتابة، وكذلك والدتي، وعدد من أهلي وأقاربي، ويمكنني الزعم أنني (وُلِدْتُ، وفي فمي قلم!).

• كيف استقبلك الجمهور في أول أمسية؟

•• لا أتذكر تفاصيل أول لقاء مع الجمهور؛ الذي كان في منتصف التسعينيات الهجرية، والسبعينيات الميلادية المنصرمة من القرن الماضي، حين وقفتُ أمام جمهور (نادي الجَدَل الرياضي بالقارّة بالأحساء) بقصيدة شعبية مباشرة وبسيطة عنوانها (مَدْرِي ليش)، أثبتتُها في ديواني الأول (ترانيم قروية) الصادر عام 1410هـ، 1990، وكان الجمهور من أبناء القارّة، والقرى المجاورة، يملأ الساحة التي أمام مبنى النادي، وبالمناسبة، كان ذلك في فترة إدارة الأستاذ محمد القشعمي حينما كان مديراً للمكتب الرئيسي لرعاية الشباب بالأحساء؛ الذي كان يحضر شخصياً معظم الأمسيات والأنشطة الثقافية لأندية الأحساء.. أقول: لا أتذكر تفاصيل ذلك، إلا أن الجمهور كان يصفق بحرارة، ويطلب استعادة كل مقطع من تلك القصيدة الطريفة، وتستمر هذه الحالة لعدة سنوات تالية ولقصائد عدة.. فصيحة وشعبية.

• هل تنويع نشاطك الثقافي والإبداع أضعف قصيدتك؟

•• وهل تعتقد أن قصيدتي ضعيفة يا صديقي؟

.. لم يؤثر ذلك على كتابتي ومشاركاتي الشعرية المتواصلة منبرياً، ونشراً وحضوراً، وإن كانت هناك بعض الفترات المتباعدة نسبياً أثناء متابعة وتنفيذ تلك الأنشطة، لكن بالعموم لم تكن على حساب القصيدة.

• ماذا تقول للنقاد الذين لم يتناولوا نصوصك بالقراءة؟

•• أقول لهم: قد يحزنني ذلك، ولا أدري، أخي الفاضل، لماذا هم مبتعدون عن نصومي وقصائدي، وبصراحة، (وبيني وبينك).. أحسن!

لأنني من الذين لا يحبون النقاد، وحين ندقق في هذا الأمر.. فلا أدري لماذا هم بعيدون عن نصومي؟ هل هم يرون أنها لم ترقَ إلى المستوى المطلوب بالنسبة لهم لتناولها ودراستها؟ أم أن هناك أمراً آخر، وإني لا أدري.

نعم هناك قراءات انطباعية لبعض دواويني كقراءة الشاعر والقاص والأديب سعد الغريبي لديواني (نخيل)؛ التي نشرها في مجلة (اليمامة) قبل نحو ثلاث سنوات، ولا أتذكر سواه قام بذلك، وأقول للنقاد: لن أهول وراءكم، فقصائدي بين يدي القراء.

• هل الفضل لبيئة الأحساء في صنع الشعراء؟

•• بالطبع، وبكل تأكيد، فالأحساء تتمتع بعناصر كثيرة تُحَرِّض على الشعر والإبداع؛ أبرزها النخيل والتاريخ، وهذان العنصران الملتصقان فيها منذ آلاف السنين صنعا شعراء كثيرين، وما هذه الزمرة منهم وبأجلى صور التميز والقوة والحضور قديماً وحديثاً إلا من نتاج بيئة الأحساء إلى جانب العرافة، والبيئة العلمية، وقديماً قيل:

«إلى الأحساء تُضْرَبُ أكباد الإبل».. للدلالة على الرحيل إلى الأحساء لطلب العلم، وغير ذلك من عوامل ذات تأثير مباشر وقوي في ميلاد شاعر أحسائي كل يوم.. كما قال، وكيفاً.

• ما أثر التجربة العراقية على شعراء المنطقة الشرقية؟

•• تتأثر المناطق المتجاورة ببعضها في كثير من الوجوه -كما تعلم-، وتؤثر فيها أيضاً.

ولا شك أن التجربة الشعرية العراقية هي إحدى التجارب الرائدة في المشهد الشعري العربي بشكل عام، وهي عامل مؤثر قوي على المناطق البعيدة؛ فضلاً عن القرية منها، لذلك تجد في شعر كثير من الشعراء (الشعراء الشيعة على وجه الخصوص) تأثيراً عراقياً جلياً يمكنك أن تراه في مفردة، أو صورة، أو

استدلال، أو رصد تاريخي، أو تناول ما، أو غير ذلك.

كما أود أن أشير إلى أن هناك في بعض المدن والمناطق العراقية كالبصرة والزبير وبغداد والعمارة وكربلاء والنجف والساوة وبابل، بعض العوائل التي هاجرت من المنطقة الشرقية، ومن نجد إلى تلك المدن والمناطق قبل أكثر من قرنين، وخرج منها - أي من تلك العوائل- شعراء وكُتّاب التحموا مع المجتمع العراقي كالأديب والإعلامي (سلمان بن صالح الصفواني) من القطيف، والشاعر (حسين بن علي الرمضان) من الأحساء، وغيرهما.

• كيف تقرأ تجربة الأندية الأدبية؛ باعتبارك من المؤسسين؟

•• مَرَّات الأندية الأدبية بالمملكة بمراحل متعددة على مدى نصف قرن من تأسيسها، ويمكن القول إنها كانت مراحل متباينة في الفعل والتأثير والنتائج، فبينما نجدها ذات حضور وتأثير فاعل ونوعي وبامتداد واسع ونتاج ملموس في الثلث الأول من سنوات تأسيسها.. نجدها تتراجع بشكل ملحوظ في الثلث الثاني من تلك السنوات، وإن كانت قد ألحقت بأنشطتها بعض الفعاليات النوعية في بعض سنوات تلك الفترة، وبدا التراجع منها من الناحية الإدارية وبقاء معظم رؤساء مجالسها على كرسي الإدارة كل تلك السنين حتى أطلقوا على تلك المقاعد مقولة طريفة هي: «المقاعد الأبدية.. لرؤساء الأندية الأدبية!»، وصحب ذلك ركود في النشاط وتراجع في الإبداع وإسراف في اللامفيد، وغير ذلك.

ثم جاءت الفترة الأخيرة؛ التي حاولت الجهة المرجعية للأندية الخروج بها إلى تجربة الانتخابات ومحاولة تغيير الإدارات والأسماء، وقد نجحت في ذلك إلى حدٍّ ما، وبوقت قصير وسريع، لكن سرعان ما أصاب هذه التجربة الفشل، وعادت الوزارة التي تشرف على الأندية أن تُدبِّت أعضاء مجالس الإدارة، وقامت بالتمديد لهم في مناصبهم لأكثر من مرة، وانتهى الأمر في الوقت الحالي إلى (التكليف.. حتى إشعار آخر).

وبكلمة.. فإن الأندية الأدبية بالمملكة مرت بعصر ذهبي ثم فضي ثم معدني، وأرى أنها قد أدت دورها بما يكفي، وتجاوزت زمنها.. وأن يتم استبدالها الآن بمؤسسات وهيئات ثقافية تتماشى مع رؤية المملكة 2030، التي تستقطب الشباب وتعيد إليها الحياة من جديد.

• ما تطلعاتك للمستقبل؟

•• أنتظر الآن صدور كتاب ضخم عنوانه (المملكة العربية السعودية.. العُشُّ الآمن) من تألّيفي، تصل صفحاته إلى 550 صفحة بالألوان وبالقطع الكبير؛ وهو كتاب يجمع كل الأعمال الوطنية الخاصة بالمملكة التي كتبتها، وسيصدر قريباً إن شاء الله.

ومشغول في كتابة مذكراتي (السيرة الذاتية)، ولملمة قصائدي التي لم تُنشر في ديوان، إلى جانب بعض المؤلفات المخطوطة ككتاب (الرسائل)، و(الرحلات)، و(المختارات النادرة من الصحافة العربية)، وكتاب (اللقاءات الصحفية) الذي سيُضاف هذا الحوار إلى صفحاته.. وأتطلع أن يتبنى رجل أعمال سعودي محب للثقافة والأدب القيام بطباعة (أعمالي الأدبية الكاملة) على نفقته.